لمسة التراث في الرواية المغاربية

الروائي إبراهيم الكوني ... أنموذجا

أ. قرنوط الحسين*

جامعة الجلفة

توطئة:

يظل التراث وعاء ثقافيا وفكريا يحتوي مختلف الألوان المعرفية كالمعتقدات والعادات والتقاليد والمعاملات ...والروائي الليبي ابراهيم الكوني بحكم أنه سليل الصحراء وابنها الوفي فقد تناص وتقاطع وتحاور في نصيه "التبر والفزاعة" مع البيئة الصحراوية ، بل صورها من خلال عكسه لتلك القيم الثقافية الفكرية والسلوكية التي ميزت المجتمع الطارقي الصحراوي ، وفي هذا الصدد نتعرض للتناص التراثي من خلال نقطتين هما :

-أ- توظيفه للحكمة : وسأعالج ذلك تحت عنوان "ناموس الصحراء" .

-ب- توظيفه للعادات والتقاليد ، وسأعالج ذلك تحت عنوان :" البيئة الصحراوية ".

-أ- ناموس الصحراء :

يقصد بناموس الصحراء ذلك القانون الذي حددته تعاليم الصحراء ، من خلال مجموعة الحكم والوصايا والمقولات ...والحكمة - كما هو معروف - هي قول مختصر كثيف الدلالة ، يحمل قدرة تعبيرية هائلة بحيث يلخص الحياة ويختصر الأحداث ، والآن نذكر أهم السياقات التي تجلى فيها ناموس الصحراء ، وبذلك يظهر الكوني متناصا مع التراث الصحراوي :

الحكمة في نص الكوني	التهميش من الروايتين
" المهري مرآة الفارس "	رواية التبر، ص:19.
"بعد الضحك يأتي البكاء ، الفرح يعقبه الحزن ، والموت يأتي في غفلة الحياة"	رواية التبر، ص:22.
"الحيوان خير صديق "	رواية التبر، ص:22.
"من فقد عقله فقد نفسه "	رواية التبر، ص:23.
"الأنثى أكبر مصيدة للذكر "	رواية التبر، ص:24.
"في الحفر دائما تختبئ الأفاعي والعقارب "	رواية التبر، ص:24.
"الحياة هي الصبر "	رواية التبر، ص:25.
"اللي رجله في النار لا يسمع "	رواية التبر، ص:39.
"إذا حظر الشيء غاب نقيضه "	رواية التبر، ص:48.
"الكمال لله "	رواية التبر، ص:48.
"إذا اختلط الدم بالدم واتحد الجسد بالجسد ختم العهد بالأخوة الأبدية "	رواية التبر، ص:50.
"كل شيء يعود إلى الأصل في النهاية "	رواية التبر، ص:56.
"لا يشترى الشيء الجميل إلا بثمن باهظ "	رواية التبر، ص:58.
"الجمل مثل العبد ، إذا أسأت له فاحذره "	رواية التبر، ص:65.
"الإشارة مثل النبوة تومض مرة واحدة "	رواية التبر، ص:67.
"الثرثرة تقود إلى إفشاء الأسرار "	رواية التبر، ص:77.

"الحقيقة لا تمثل أمامنا إلا بعد فوات الأوان "	رواية التبر، ص:79.
"مقاومة المكتوب كفر "	رواية التبر، ص:79.
"السيف الذي لا يستعمل طويلا يعلوه الصدأ "	رواية التبر، ص:95.
"الأبناء فناء الآباء "	رواية التبر، ص:101.
"إذا غاب الحياء فالقوة هي قانون الصحراء "	رواية التبر، ص:107.
"في صدر الغريب يرقد السر "	رواية التبر، ص:108.
"البعيد عن العين بعيد عن الخاطر "	رواية التبر، ص:109.
"ما فات مات "	رواية التبر، ص:109.
"العيون مرآة القلب "	رواية التبر، ص:110.
"عندما يشترك الجميع في جريمة فليس ثمة مجرم "	رواية التبر، ص:113.
"عناق الوداع دائما أقسى"	رواية التبر، ص:115.
"لن تصطاد الصقر إلا إذا عبثت بعشه "	رواية التبر، ص:156.
"لا تودع قلبك في مكان غير السماء"	رواية التبر، ص:165.
"رأس الحكمة أن لا تنظر بعين الاحتقار إلى الشيء مهما بدا بعينيك صغيرا "	رواية الفزاعة ، ص:75.
"لا تؤخذ النفس إلا بما تشتهي ، ولا يهلك الإنسان إلا بما يعشق "	رواية الفزاعة ، ص:82.
"المنفى أسوأ من كل عقاب "	رواية الفزاعة ، ص:89.
"عدو النار الماء"	رواية الفزاعة ، ص:103.
"رأس الحكمة أن لا تصدق امرأة"	رواية الفزاعة ، ص:118.
"بيت الأب للعذراء عش"	رواية الفزاعة ، ص:123.
" المرأة إذا كثرت في أرض كثرت فيها الفتن "	رواية الفزاعة ، ص:146.
"نكران الإحسان جبلة في الإنسان "	رواية الفزاعة ، ص:189.
"الناس أمانة في عنق من تولى أمر الناس "	رواية الفزاعة ، ص:186.

-ب-البيئة الصحراوية :

لقد استطاع الكوني بلغته الساحرة أن يصور البيئة الصحراوية تصويرا فوتوغرافيا ، ويرسمها رسما فنيا من خلال ذكره للعادات والتقاليد وحتى المعاملات والسلوكات ... فقد تطرق إلى الملبس والمأكل والمشرب والنسب والزواج والطبقية والرقص والغناء ... وكل ما يمكن أن يصور حياة الطوارق ، وفي الجدول الآتي نوضح هذه التناصات من خلال رصد سياقات النص الحاضر واستكشاف النص الغائب :

النص الحاضر	التهميش في الرواية	النص الغائب (البيئة الصحراوية)
"وهم يتوجون رؤوسهم بالعمامات الفخيمة الزرقاء "	رواية التبر،ص:13.	- الملبس : (العمامة الزرقاء ، النعل من جلد ، اللثام ، العباءة الزرقاء ،..) - المسكن : (الخيمة)
"ألبسه الرعاة بالثياب،وزودوه باللثام "	رواية التبر،ص:56.	
"زاره في الخيمة"	رواية التبر،ص:58.	
"فترع نعله الجلدي "	رواية التبر،ص:80.	
"لا يتوقف عن الضحك ومضغ التبغ "	رواية التبر،ص:95.	
"رأى دودو متدثرا بعباءته الزرقاء"	رواية التبر،ص:115.	
"أمر بإعداد الشاي "	رواية التبر،ص:18.	- المأكل والمشرب : (الشاي ، التبغ ، الترفاس...)
"حنى بضع قطع من الترفاس"	رواية التبر،ص:36.	
"جلس في العراء أمامه ، وهو يعقد يديه حول ركبتيه "	رواية التبر،ص:61.	
"إذ كان يقرفص أمام خيمته "	رواية التبر،ص:71.	

"لم نأكل سوى البرسيم طوال الأيام الماضية "	رواية التبر،ص:88.	
"قادوه إلى شيخ القبيلة "	رواية التبر،ص:18.	الطبقية في المجتمع الطارقي بحيث ينقسم هذا المجتمع إلى ست طبقاتهي : 1- ايماجغن : وهم طبقة الحكام . 2- اينسلمن : وهم الفقهاء و العلماء. 3- إيمغاد : وهم أصحاب الأملاك . 4- اينادن : وهم الصناع والحرفيون التقليديون . 5- بلاس : وهم العبيد المحررون . 6- إكلان : وهم العبيد
"شكته الخادمة الزنجية إلى أمه "	رواية التبر،ص:22.	
"قالوا للضيف إنهم سادة الصحراء "	رواية الفزاعة،ص:14.	
"أرسل العبيد ليأتوه بالسحرة "	رواية الفزاعة،ص131.	
"رفع صوته بأحد تلك الألحان السحرية ... حتى يختم مواله الحزين "	رواية التبر،ص:11.	الأفراح :(الرقص ، الغناء ،الشعر ، الزغاريد ...)
"التدريب على الرقص في حضرة الحسان مهمة الفرسان في الصحراء"	رواية التبر،ص:12.	
"ليتدرب على التمايل على أنغام الموسيقى والإيقاع "	رواية التبر،ص:13.	
"وكوفئا بعاصفة من الزغاريد "	رواية التبر،ص:14.	
"صار النداء أغنية حقيقية تذكر بمطلع أغاني الشجون التي تسميها شاعرات القبائل أساهغ "	رواية الفزاعة،ص:37.	
"قل له أن يرافقها إلى بلاد السحرة "	رواية التبر،ص:75.	المعاملات (الانتقام ، التجارة ، الرشوة ، السحر ، الشعوذة ، السرقة ، المقايضة ، الثأر...)
"نقلا عن السحرة والعرافين في كانو "	رواية التبر،ص:77.	
"ويعبرون به الصحراء الشرقية نحو غدامس مع قافلة من الإبل المسروقة لبيعها هناك "	رواية التبر،ص:80.	
"في تلك الأثناء قايض أحد الجملين بالتمر والشعير "	رواية التبر،ص:94.	
"لا تنس أن لدي قبيلة ... أقوى قبيلة "	رواية التبر،ص:107.	
"لا تعتبر هذا رشوة "	رواية التبر،ص:125.	
"آير بلاد السحر والسحرة "	رواية التبر،ص:140.	
"إذ جاء من آير أقارب القتيل ، وانتشروا في الصحراء طلبا لرأسه "	رواية التبر،ص:143.	
"ولكن يؤسفني أن أقول إن فرصتك في تولي القبيلة بعد أبيك ضعيفة ، لدى الشيخ أبناء أخت ثلاثة حسب علمي "	رواية التبر،ص:19.	النسب والزواج (يرجع الطوارق في النسب إلى الأم ، فابن الأخت هو الذي يرث وليس الابن ، وهي تأثيرات المجتمعات الأمومية)
"ابلغ الأحمق أن إيموهاغ (الطوارق) على حق عندما سنوا النسب إلى الأم "	رواية التبر،ص:75.	

وفي الأخير يمكن أن نقول أن الكوني استطاع بتناصه التراثي أن يرسم الصحراء معيدا إليها إشراقها الروحي ، محيطا بحيواناتها ونباتاتها ...برمالها وسمائها وأرواحها ... و إنسها وجنها ، ليخرجها لوحة فنية قابلة للتأويل ،ومفتوحة على جميع الاحتمالات .

قائمة مصادر ومراجع البحث باللغة العربية:

[1]- إبراهيم الكوني : البئر ، (رواية) ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ،ط3 ، 1997.

[2]- إبراهيم الكوني : التبر ، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ، ط1، 1990.

[3]- إبراهيم الكوني : الفزاعة ، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام ، ط2 ، 2007 .

[4]- إبراهيم الكوني : رباعية الخسوف ، رواية ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ، ط3 ، 1991.

[5]- ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي،أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (دط، دت) .

[6]- الثعلبي : قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (دط ، دت) .

[7]- الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، ج2، دار الجيل ، 1990.

[8]- تزفيطان تودوروف: الشعرية ، ترجمة : شكري المبخوت و رجاء بن سلامة ، دار توبقال ، المغرب ، ط2، 1990.

[9]- جمال مباركي : التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة إبداع الثقافية ، الجزائر ، (دط ، دت) .

10 – جوليا كريستيفا : علم النص ، ترجمة ، فريد الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم .

11 – جيرار جينيت : مدخل لجامع النص ، ترجمة : عبد الرحمان أيوب ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2، 1989.

12 - رشيد بن مالك : قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2000.

13 - رولان بارت : درس في السيميولجيا ، ترجمة : عبد السلام بن عبد العالي ، دار توبقال للنشر ، ط2 ، 1982 .

14 - مفيد نجم : التناص بين الاقتباس والتضمين (الوعي واللاشعور) ، مجلة بيان الثقافة ، ع 55 ، يناير 2001.

15 – نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث) ، دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر، 1997.

16 – عبد الستار جبر الأسدي : ماهية التناص ، مجلة الفكر والنقد ، ع 28 ، المغرب.

17 – عمر الأنصاري : الرجال الزرق ، الطوارق الأسطورة والواقع ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2006.

قائمة مصادر ومراجع البحث باللغة الأجنبية :

1- Graham Allen ; intertextuality , London and New York ; rout ledge , 2000 .

2-leon s. roudiez :desire in language , A Semiotic approach to literature and art , oxford , black well , 1980

3- Roland barthes : the rustle of language ,translated by Richard howard, newyork:hill and wanck,1986